

ثقافة التواصل عبر الشبكات الاجتماعية

و دورها في مواجهة ثقافة الكراهية في الجزائر

**The culture of communication through social networks
And its role in confronting the culture of hatred in Algeria**

أ.د. يامين بودهان¹¹ قسم الإعلام، جامعة قطر qboudhane@qu.edu.qa

تاريخ الاستلام: 2022/06/01

تاريخ القبول: 2022/06/16

تاريخ النشر: 2022/06/30

ملخص:

يسعى المقال الآتي لاستعراض أهمية توظيف صفحات الإعلام الاجتماعي كأدوات فاعلة لبناء خطاب تواصل يواجه خطابات الكراهية والعنف، التي تتهدد المجتمع ككل، فيسعى لتقديم تصورات حول جدوى تكريس ثقافة التواصل ضمن المنظومة الثقافية والاجتماعية للتصدي لحملات العنف الاجتماعي المنتشر بكثرة ضمن فضاءات الأسرة، الشارع والمدرسة والإعلام الاجتماعي.

وسيدكر المقال نماذج لمجموعات استحدثها الشباب الجزائري في منصة الفيسبوك تروج لثقافة مناهضة للعنف، وداعية للتواصل والسلام، ولقيت إقبالا واسعا وانضمام فئات واسعة من الشباب، سواء أولئك الذين ينشطون في منظمات المجتمع المدني، أو انضموا بشكل فردي.

كلمات مفتاحية: ثقافة التواصل، الإعلام الاجتماعي، مواجهة، ثقافة الكراهية، الجزائر.

Abstract:

The following article aims to review the importance of employing social media pages as effective tools to build a communicative discourse that confronts hate speech and violence, which threatens society as a whole.

The Algerian on the Facebook platform promotes a culture of anti-violence, an advocate of communication and peace, and it has received wide turnout and the joining of large groups of young people.

Keywords: culture of communication, social media, confrontation, culture of hate.

1. مقدمة:

ساهمت الصراعات السياسية والعرقية التي عاشتها كثير من الدول العربية بعد أحداث ما سمي بالربيع العربي في تأجيج خطابات الكراهية ومعاداة الآخر، فانتشرت ثقافة الكره والحقد والانتقام بين أبناء الوطن الواحد، وأضحى كل طرف يسوق لأيديولوجية التقسيم والتشويه على أسس عدة: طائفية، لغوية، جغرافية، عقدية...

وقد استغلت فضاءات التواصل الاجتماعي كشبكة الفيسبوك وتويتر بشكل كبير لإحداث هذا الشرخ الاجتماعي والسياسي بين أبناء الوطن الواحد، فمئات الآلاف من الصفحات والمجموعات تروج لخطابات تمييزية عنصرية تشوه صورة الآخر وتشيطونه (Letonturier, 2005)، في المقابل تسوق لصور ذاتية مثالية لا تشوبها شائبة، وقد غررت عدد من هذه الصفحات بكثير من الشباب في الدول العربية فجعلتهم ينغمسون في بيئة كراهية وحقد لا مثيل لهما، تجعلهم ينشرون صور وفيديوهات وتعليقات بغیضة تجرم وتكفر الآخر، والأخطر من ذلك تدعو إلى قتله أو إبادة.

إن ترويج ثقافة التواصل والحوار هو الحل فقط لمجابهة ثقافة الكراهية والحقد المنتشرة على فضاءات التواصل الاجتماعي (Loriane , 2017, p7)، فتحفيز الشباب للانضمام بكثرة لصفحات الحوار والتواصل يدفعهم لتبني خطاب اتصالي بناء مؤثر على غيرهم من أصدقائهم الحقيقيين أو الافتراضيين، كما يجعلهم ذلك يواجهون بفعالية كل خطابات الكراهية، فيردون عليها أو يتجاهلوها أو يحذونها من حساباتهم الشخصية، كما يؤدي بهم إيمانهم بثقافة التواصل بتسويق صور حضارية إيجابية عنهم وعن مجموعات أصدقائهم لدى المجتمعات الأخرى التي تصنف المجتمعات العربية على أنها مجتمعات تكره بعضها وتميل إلى العنف في كل تصرفاتها.

وقد استحدثت بالفعل مجموعات عديدة على مستوى شبكة الفيسبوك تروج لثقافة مناهضة للعنف وداعية للتواصل والسلام، لقيت إقبالا واسعا وانضمام فئات واسعة من الشباب، سواء أولئك الذين ينشطون في منظمات المجتمع المدني، أو انضموا بشكل فردي، ومن المجموعات التي تحظى بتفاعل كبير ومتابعة مهمة من قبل الشباب الجزائري.

2. خطاب الكراهية في وسائل الإعلام:

لقد تزايدت نسبة العنف في الجزائر بكل أشكاله بشكل ملحوظ يدعو للتوجس والقلق، مس جميع الشرائح الاجتماعية، وتعددت أسبابه كما تعددت نتائجه فتعقد الحياة العصرية، ازدياد نسبة الفقر، البطالة، ارتفاع النمو الديمغرافي، ساهم بشكل كبير في تنامي ظاهرة العنف والعدائية في المجتمع، وقد تطورت أشكال العنف الممارس من قبل الأفراد ليتحول لعنف الاتصال أو العنف الرمزي والكراهية المفرطة اتجاه الآخرين (لصلح، 2016)، فانتشرت بشكل غريب ممارسات العنف اللفظي من سب وشتم، وعدم احترام الآخرين وذلك في كل الفضاءات الاجتماعية، كما انتشرت دعوات الكراهية اتجاه الآخر وذلك بسبب الاختلاف في الجنس، الانتماء الجغرافي، التوجه الايديولوجي.... إلخ

لقد أصبح موضوع التربية على ثقافة التواصل في وقتنا الحالي، وفي ظل انتشار موجات الكراهية عبر وسائل الإعلام عموما، وعبر صفحات الإعلام الاجتماعي خصوصا من القضايا الحيوية التي تستأثر بعناية متزايدة في كل دول العالم، لاسيما المتقدمة منها، بل إن هذا الموضوع غدا في المنظومة الثقافية والإعلامية الحالية الشغل الشاغل لبال الكثير من المهتمين بهذا الحقل المعرفي (Schoefthaler, 2006, p4)، بداعي أن تحقيق التوافق أو التواصل ومواجهة الكراهية والتعصب عبر تربية الشباب ومستخدمي شبكات الإعلام الاجتماعي يكون مقدمة مهمة لتحقيق التوافق في المجالات الأخرى، كتحقيق التوافق السياسي، الاجتماعي، العقائدي، الهوياتي، اللغوي... إلخ، كما يؤدي تكريس ثقافة التواصل إلى خلق منظومة تواصلية فاعلة داخل أبناء المجتمع الواحد، بحيث تزول الصراعات العرقية والإثنية والسياسية والجهوية، ويتشكل بذلك وعي اجتماعي مشترك، وإحساس عميق بالاندماج والانتماء للبلد الواحد، أو للأمم الواحدة.

يظهر هذا الإحساس أساسا في أوقات الأزمات والحن، فتجد كل الأفراد والشعوب والمجتمعات كالجسد الواحد، كما يحدث أثناء حصول اعتداءات إرهابية، أو أثناء حدوث تهديدات ومخاوف مشتركة سواء محليا، أو إقليميا، كما حدث أثناء نشر الرسومات المسيئة للرسول (ص)، إذ تشكل رأي عام جمعي عربي غاضب، ظهر جليا من خلال المسيرات والمظاهرات التي نظمها وشاركت فيها أعداد ضخمة من

الجماهير، وبرز أيضا هذا الرأي العام المشترك من خلال الصفحات والمجموعات الاجتماعية التي تشكلت في الفاييسبوك وتويتر وباقي الشبكات للتعبير عن تضامن الشعوب مع بعضها بخصوص القضايا ذات القاسم المشترك، كقضايا، الدين والأمة والهوية والانتماء للوطن.

3. ما المقصود بالتربية على ثقافة التواصل عبر شبكات التواصل الاجتماعي؟

يقصد بالتربية على ثقافة التواصل (Education aux réseaux sociaux) تكوين الشباب على التعامل الواعي والناقد مع شبكات الاتصال الاجتماعي، وحسن استخدام مضامينها وصفحاتها، بالشكل الذي يفيد ولا يتعارض مع أخلاق المجتمع وقيمه وثقافته ومعتقداته، ويتحقق ذلك عبر:

- اكتساب كفاءات استخدام هذه الشبكات.
- اكتساب القدرة على تحليل ونقد واختيار المحتويات المناسبة.
- مساعدة الشباب على حسن التمييز بين الحقيقة والزيف.
- تلقي التكوين الكافي من أجل احترام القيم والالتزام بالقواعد الأخلاقية.
- تنمية روح النقد لكل أشكال الرسائل الاتصالية التي يتم تداولها.
- القدرة على فهم وتفسير الصور والفيديوهات الثابتة والمتحركة، والقيم التي تحملها. (الشميمري،

(2017)

إن تكريس الثقافة التواصلية في المجتمع التي تبنى على التفاعل والتفاهم والاعتراف هو الأصل لتحقيق التآلف الاجتماعي، وغالبا ما يركز النقاش العمومي ضمن مجال الشبكات الاجتماعية على آليات التواصل والتداول كآليتين عمليتين لتحقيق الإجماع والاتفاق الاجتماعي، وإذا غاب التواصل والتناقش والتداول يغيب الحوار العقلاني وتحضر ايديولوجية الصدام والعنف، فتربية الشباب على ثقافة التواصل يكرس فيهم قيم احترام حرية الرأي والتعبير، وتقديس قيم التنوع الثقافي والفكري والسياسي.

تتكرر بشكل كبير المصطلحات الدالة على الكراهية في مضامين حوارات الشبكات الاجتماعية، إذ أشارت إحدى الدراسات التي أجريت على مستوى عدد من الدول العربية إلى تكررها أكثر من 30% من مجموع الحوارات، ما يؤشر إلى تنامي خطاب التحريض وتجييش المشاعر لدى الشباب (العقارية،

2015، ص7)، كما أن خطاب الكراهية في المجال العام للإعلام الاجتماعي مؤسس على عنف رمزي يتغذى على خلق بؤر تشنج هوياتي (الإحالة على الانتماءات المذهبية -خارج المرجعية الدينية الوطنية-، الجهورية والعروشية، اللغات ولهجاتها، الانتماءات السياسية والإيديولوجية...)، وغالبا ما يصاحب خطاب الكراهية انعدام السلوك الحضاري في التفاعلات الثقافية والفكرية، وتغيب معايير التداول والتواصل حول مسألة التنوع والتعدد، وقبول الآخر، كما يصاحب خطاب الكراهية أيضا تراجع لمقومات العيش المشترك وعدم استيعاب مبدأ المواطنة، ويتغذى خطاب الكراهية أساسا على نشر الأخبار الكاذبة (Fack news).

1.3. أهداف التربية على التواصل الاجتماعي:

يعتبر الاشتغال على تحقيق التربية الإعلامية على شبكات التواصل الاجتماعي مهمة أساسية يجب تهتم بها أطراف كثيرة في المجتمع، بدء بالمؤسسات التربوية العمومية، والهيئات الوصية عليها كوزارة التربية، وصولا لفعاليات المجتمع كهيئات المجتمع المدني والجمعيات، وحتى الأسر والأولياء، فكل هذه الأطراف مجتمعة يجب أن تعمل على تغيير أنماط تعامل الأفراد خاصة الشباب والمراهقين مع شبكات الإعلام الاجتماعي، وتوجيهها نحو المسارات التي تضمن تنشئة أفراد سليمين لا يحملون أية توجهات عنيفة، و يجب أن تعمل على تشكيل هوياتهم بما يتناسب مع قيم التواصل وقبول الآخر، لذلك فتكريس ثقافة التربية على استخدام الإعلام الاجتماعي سيحقق حتما أهدافا سامية للمجتمع، ولكي يتحقق ذلك في أرض الواقع ينبغي تخصيص ورش وجلسات ودروس ضمن المناهج التعليمية، تسعى لتحقيق ما يلي:

- محاولة التعرف على مصادر الرسائل الاتصالية التي يتم نشرها وتداولها.
- تحليل الرسائل الاتصالية ومعرفة المحتويات التي تهدف إلى تضليل المتلقي.
- التعرف على تأثيرات هذه الشبكات على القيم والسلوكيات الفردية والجماعية.
- تحليل وتكوين الآراء الانتقادية حول المواد والمضامين التي يتم تداولها، وتعلم إنتاج المضامين الخاصة.
- كشف الرسائل المزيفة، وتكوين المستخدمين على رفضها وتجاوزها.

• تعلم آليات فك الرموز وتحليل المحتويات التي يتم نشرها. (البكر، 2015)

2.3. مبررات التربية على ثقافة التواصل:

تعج صفحات مواقع التواصل الاجتماعي بالصور والفيديوهات العنيفة جدا (كصور الإعدام، صور التشويه والتعذيب، صور الاغتصاب الجنسي، الاعتداءات المشينة على القصر، صور الدم والذبح...الخ)، كما تعج أيضا المناشير والتعليقات التي يتم تقاسمها عبر هذه الصفحات والمجموعات بعبارات تتضمن عبارات أو تلميحات عنيفة، ما يجعلها تساهم في توليد اتجاهات عدوانية أو سلوكيات عنيفة لدى مستخدمي هذه الشبكات خاصة فئة الشباب.

إذ هي أكثر الفئات الاجتماعية عرضة للتأثر بمضامين العنف في مواقع الاعلام الاجتماعي، على اعتبار أن هاته الفئات تقل لديها إمكانية التمييز بين ما هو خيالي وواقعي، وما هو نافع وضار، وكما أنهم يتوقفون لمعيشة تجارب جديدة شاهدوها في صفحات الإعلام الاجتماعي، أو تقاسموها مع أصدقائهم، فيندفعون إلى تقليد نماذج العنف التي شاهدوها، فتجدهم أكثر ميلا لممارسة العنف في حياتهم اليومية، سيما أن إفراطهم في مشاهدة مضامين العنف يولد لديهم إحساس بتسذيج العنف (Banalisation de la violence) على حد تعبير كلاريس فيرنيس (Clarisse Vernhes) (Vernhes, 2002)، فتبدو لهم سلوكيات العنف سلوكيات عادية، ولا يشعرون بالذنب أو الندم عند التعرض للعنف أو ممارسته في الواقع.

إن التحكم في مضامين خطابات العنف والكراهية أو منعها ضمن السياق المحلي الجزائري ليس بالمسألة الهينة ولا اليسيرة، وفي ذات الوقت فهو وضع يتطلب الاستعجال من أجل تسييج و احتواء آثاره المحتملة على البنى الاجتماعية والثقافية والقيمية، وذلك بتوجيه الشباب وتربيتهم على الاستخدام الأمثل لهذه الشبكات والتحذير من تداول المضامين الحاملة للعنف والكراهية، وهذا ما خلصت إليه الدراسات التي اهتمت بالتربية على وسائل الإعلام عموما. ويبدو أن الرهان في ظل انغماس الشباب والمجتمع ككل في منظومة الإعلام الاجتماعي هو تدارك "الانفلات الأخلاقي" أو "الفوضى الاتصالية للشبكات الاجتماعية..." (حيزاوي، 2009، ص81) وعليه تجد الجزائر نفسها أمام تحديات كبيرة يمكن أن نجملها في:

- ليس بإمكانها منع الشبكات الاجتماعية من اختراق الحدود.
- ليس من وقت كاف لوضع خطط للمواجهة، فالتقنية متسارعة والاتصال المتبادل والمتفاعل أصبح أمرا حتميا.
- ليس من حدود بين صناعة النشر والمعلومات والترفيه.
- صعوبة في تحديث القوانين والتشريعات النازمة للإعلام الاجتماعي بما يوفق بين التطورات التكنولوجية المتسارعة والأوضاع الاجتماعية والسياسية البطيئة في المجتمع. (نهاوند القادري، 2007، ص57)

ومن المبررات التي تستدعي كذلك التفكير الجدي في ترسيخ مشروع التربية على ثقافة التواصل الجيد العولمة الاتصالية بكل أبعادها (سياسيا، ثقافيا، قيميا، دينيا...) ؛ فليس خفيا أن العولمة وفتح الحدود الجغرافية على مصراعيها، سمح للجماعات الإثنية والعرقية، وللمجموعات المتعصبة والإرهابية، وللعصابات الإجرامية بأن تخترق حدود الدولة لتشق طريقها إلى متلقي لا تعترف له لا بخصوصيات اجتماعية، ولا ثقافية ولا قيمية (عزي، 2009، ص7)، بل أكثر من هذا تسعى جاهدة لاستبدال هذه المنظومات بأخرى تخدم وترعى مصالحها، وتجعله يخدم أجنداتها وتستدرجه رويدا ليتبنى قناعاتها وأفكارها. (جفال، 2012، ص3)

ومما لاشك فيه أن هذه المخاوف مشروعة والتأثيرات غير مستبعدة، عندما نرى أن الشباب منغمس إلى حد الإدمان في استخدام مواقع الإعلام الاجتماعي، وتجدهم يتداولون آراء ومناشير وتعليقات ذات تحمل مضامين غريبة تهدد هوية المجتمع، وأمن الوطن، فسريرا ما يشدهم بريق الحرية الذي يشعرون به، أو وهم الانفتاح (السياسي والأخلاقي، والقيمي) الذي يجدون أنفسهم أمامه، لذلك يسهل استدراجهم لقبول الأفكار الشاذة والخطيرة، فتتولد لديهم مشاعر ناقمة من أوضاعهم التي يعيشون فيها، فتجدهم يتبنون بسهولة مشاعر عداائية وعنيفة اتجاه غيرهم، واتجاه أوطانهم ومجتمعاتهم.

في نفس السياق ، كذلك تحتاج فئة الشباب والمراهقين كذلك إلى عناية خاصة، والتي تعتبر من أولويات مشروع التربية على ثقافة التواصل في ضبط علاقتها مع الإعلام الاجتماعي، خاصة إذا علمنا أن

وسائل الحصانة والدفاع في مواجهة تأثيرات ما تعرضه هذه الشبكات محدودة لدى هذه الفئة الاجتماعية. وقد كشفت عديد الدراسات انجذاب الشباب نحو الصور والفيديوهات والمناشير التي يتم تداولها في صفحات الإعلام الاجتماعي، فتعلق الشباب بهذه الشبكات، يولد لديهم وهما بأهمية المتابعة والمتعة التي يتلقونها أثناء هذا الانغماس (معوش، 2007، ص45)، حيث مكنتهم من تقمص الهويات المستعارة والخيالية، والإحساس بمشاعر بديلة لا يجدها في واقعهم اليومي، كالقوة، الجرأة، الشخصية الفذة، تقمص الهويات الأخرى التي لم يتمكنوا من تحقيقها واقعيا... إلخ، وهذا في الحقيقة عزل اصطناعي متدرج للشباب عن واقع الحياة. (جاء أحمد، 2008، ص107)

4. بعض المجموعات المستحدثة لنشر ثقافة التواصل الاجتماعي:

لقد استحدثت بالفعل مجموعات عديدة على مستوى شبكة الفيسبوك تروج لثقافة مناهضة للعنف وداعية للتواصل والسلام، لقيت إقبالا واسعا وانضمام فئات واسعة من الشباب، سواء أولئك الذين ينشطون في منظمات المجتمع المدني، أو انضموا بشكل فردي، ومن المجموعات التي تحظى بتفاعل كبير ومتابعة مهمة من قبل الشباب الجزائري نذكر:

- مجموعة: معا لجمع الشمل
- مجموعة: كلنا ضد العنف في الجزائر
- مجموعة: معا لثقافة التواصل الاجتماعي
- مجموعة: معا
- مجموعة: جميعا ضد العنف والجريمة في المجتمع الجزائري
- مجموعة: منتدى الجزائر للحوار الحضاري (Algeria forum of civic)
- لا للتطرف
- معا لنرتقي
- كلنا جزائريون Wiki-DZ

إن الحديث في الجزائر الآن عن وجوب تفعيل ثقافة التواصل ضمن شبكات الإعلام الاجتماعي هو الكفيل بتكوين بنية اجتماعية عميقة تصون المجتمع من الأخطار الخارجية التي تهدق به، كخطر إهدار القيم وتغيير منظومة العادات والتقاليد (عبد الحميد، 2012)، وهذا الرهان يطرح للنقاش في الوقت الراهن أكثر من أي وقت مضى، بالنظر لتزايد موجات العداء والخوف من كل ما هو عربي وإسلامي في الوعي الجمعي الغربي (أبو الحسن، 2012، ص299)، جراء تمثيلات نمطية رسختها وسائل الإعلام في الغرب، وكذا نتيجة تزايد تنامي التيارات اليمينية المتطرفة في دول الغرب، التي تعمل على قطع الطريق أمام كل ما يرمز إلى الثقافة العربية والإسلامية واعتبارها تهديدا لمجتمعات الغرب، مثلما حدث في سويسرا حين صوتت أغلبية الشعب لمنع بناء المآذن، أو مثلما حدث قبل ذلك في فرنسا حين منعت الفتيات من ارتداء الحجاب.... إلخ

موجات التوجس هذه، والخوف من كل ما هو عربي وإسلامي يستدعي مراجعات عاجلة من قبل العرب أنفسهم لتقديم ثقافتهم واعتقاداتهم وأيديولوجياتهم بصورة إيجابية متفتحة، وإظهار ثقافة شبابهم بصورة إيجابية، وأنه شباب مسلم غير عنيف، محب للخير، عكس ما يروج له حاليا، فرما أساء الغربيون فهمهم لثقافة العرب لأنهم لم يفهموها ولم يتم توصيلها إليهم بشكل محب وإيجابي (أمين، 2017)، فلا بد أن تترسخ ثقافة الاستخدام الأمثل لمواقع الإعلام الاجتماعي، حتى توظف بالشكل الذي يسوق لثقافة التواصل والتسامح، بالطريقة التي تظهر المجتمع -الجزائري خصوصا - على أنه مجتمع يواجه كل أشكال العنف والكراهية الرمزية منها والمادية.

يجب أيضا مراجعة الذات واكتشاف جوانب التقصير في المنظومة الثقافية والتواصلية، ويجب التخلي عن نظريات المؤامرات والتشكيكات ولو مؤقتا، وأن الغرب يكرهون المجتمعات المسلمة والعربية، ويحملون لهم كل أنواع المكائد والشُرور، لما لا يكون العرب في الوقت الراهن كأسلافهم قديما، الذين كشفوا عن أنماط علائقية تشكلت من خلالها روابط ثقافية عربية وغربية مشتركة، برزت بوضوح كلعمة واحدة جمعت الذات العربية آنذاك بالحضارات الأخرى، بحيث كان النهل من الثقافات المبتوثة في العالم أمرا محببا وجزء لا يتجزأ من تكوين الذات المجتمعية. وقد أخذت الترجمات حسب الكاتب عبد الخالق عيسى دورا بارزا في

نمو الحضارة العربية سابقا، لا سيما وأن الأجواء العلمية آنذاك كانت أجواء جاذبة ومشجعة، فيها تنور وتفتح وثقة بالنفس، ولم تكن الذات تخشى من خطر الغزو الفكري أو الثقافي، بل هي ذات تبحث عن كل ما تستكمل به كينونتها، ويساهم في ترسيخ فكرها. (عبد الخالق، 2018)

كما أن انعزال المجتمعات العربية الثقافي لم يعد عملا ممكنا ولا خيارا حكيما في ظل النمط الحالي لحركة العولمة الثقافية المتسارعة، والذي يميل إلى تكريس هيمنة ثقافية أحادية لصالح الثقافة الغربية وخاصة الأمريكية، بشكل زاد من احتمالات وسرعة انقراض أو زوال الثقافات الأخرى، مما أثار مخاوف حتى بعض الثقافات الغربية الرئيسة كالثقافة الفرنسية (هانس بيتر، وشومان، 1998)، فان البديل الوحيد المتاح أمام الثقافة العربية للحفاظ على بقائها واستمرارها هو التواصل الواعي والمقتدر مع الثقافات الأخرى.

لما لا تسهم المنظومة الإعلامية في وقتنا الراهن إذن في ملممة شتات التراث العربي المشترك من آداب وفنون وشعر وثقافات وتقاليد وعادات... وتقدمه للجماهير والشعوب العربية أولا، حتى تفهم بعضها وتتقارب من بعضها البعض قبل أن تقدم هذا التراث للآخر (الغرب أو الشعوب الشرقية كالصين والهند...)، لما لا يتعرف المصري على ثقافة الجزائري ولهجته، أو الخليجي على الفن المغربي والتونسي أو لهجته؟ لما يضطر الجزائري حين يذهب إلى مصر أن يتكلم بلهجة مصرية فقط، أو أن يتكلم فقط بعربية فصحي خالصة حتى يفهموه؟ لماذا لا يعرف المشاركة من أدباء الجزائر ومثقفوها إلا الأمير عبد القادر، أو أحلام مستغانمي، أو مالك بن نبي؟

في الجانب المقابل، لماذا حين يذكر المشرق في محيلة كثير من المغاربة يتبادر إلى أذهانهم الرقص الشرقي وفنانات كهيفاء وهبي ونانسي عجرم... وحين يذكر الخليج تبرز في أذهانهم صور شيوخ نفط مترفون، وغانيات يتسترن خلف جلابيب وبراقع سوداء، لماذا يتعالى بعض المثقفين أو الفنانين أو السياسيين العرب المشاركة أو المغاربة عن باقي نظرائهم العرب؟ ويرون أن ثقافتهم هي فقط الثقافة وفهم هو فقط الفن؟ ولماذا لا يتم تجاوز المفاهيم المغلوطة حول المركز والأطراف، والريادات والأسبقيات كما يقول سليمان العسكري، من أجل إثراء الثقافة العربية على أساس التنوع لا الاختلاف.

فتركيس ثقافة التنوع والتواصل هو الكفيل بإخراج مقومات القوة الكامنة في المجتمعات، واستثمارها لتحقيق النهوض الاجتماعي والاقتصادي، فلا يمكن تصور حدوث تطور ونخضة في مجتمعات تزرع تحت العنف والكراهية، أين يعادي الأفراد بعضهم البعض وتتعالى الصراعات الفردية والقبلية والطائفية، مثلما يحدث للأسف في كثير من الدول العربية، إلا أنه في المقابل لو يتم تنشئة الأفراد على مقومات التواصل وقبول الآخر والانفتاح عليه، ومناقشة الأفكار والتصورات بعقلانية وهدوء، فبطبيعة الحال ستنتضح الأفكار المستنيرة في المجتمع، وستبرز نخبة اجتماعية وثقافية من رحم النقاش الاجتماعي الذي يحدث، وسيكون بإمكانها إحداث تأثير إيجابي في بنية المجتمع وسيروته.

إلى جانب كل النقاشات العنيفة التي يشهدها الإعلام الاجتماعي في الجزائر وغيرها، وإلى جانب كل الصفحات التي تروج للكراهية وغرس قيم التفرقة إلا أن هناك كثير من الصفحات والمجموعات التي تحاول ترويج ثقافة التواصل والحوار والتنوع، والأمثلة التي ذكرتها سابقا كلها هي نماذج رائدة في الجزائر لشباب استطاعوا استقطاب الآلاف من المنظمين لمجموعاتهم، وقد أثارت هذه المجموعات الكثير من النقاشات افتراضيا حول مظاهر العنف وتداعياته في الجزائر، وكلها تسعى للترويج لثقافة الحوار ولم شمل، ومواجهة كل أنواع الكراهية والتفرقة التي انتشرت دعواتها في المجتمع الجزائري في الفترة الأخيرة، خاصة ما تعلق بالتمييز على أساس الهوية والجهوية، وتوظيف مصطلحات عنصرية شهدها السياق الجزائري مؤخرا، كالمصطلحات التي رافقت فترات الحراك الشعبي كعبارة الزواف مثلا، إلا أن هذه المجموعات حاولت التجميع بين عناصر الهوية الجزائرية بطريقة تحقق التضامن الاجتماعي والتواصل.

وبالفعل من خلال الاطلاع على منشورات المجموعات والتعليقات التي رافقتها تضمنت أغلبها دعوات للتجميع ونبذ التفرقة والكراهية، والسعي لتوجيه الأفراد والشباب لمواجهة خطابات الكراهية في الفضاء الاجتماعي ومقابلة كل من يروج لهذا الخطاب بخطاب مقابل عقلائي وهادئ، وتحويل هذا الخطاب المنطقي الهادئ من فضاء الافتراضي إلى الفضاء الواقعي، لمواجهة كل مروجي العنف والعدائية والتفرقة في المجتمع، ومجابهتهم بخطابات عقلانية سلمية، وأكد فخطابات الكراهية ستزول ولن تنتصر في حضور خطابات العقل والمنطق والود.

5. خاتمة:

إن خطاب الكراهية في وسائل الإعلام - تحديداً على مستوى الإعلام الاجتماعي - هو الخطاب الذي يدعو لأعمال العنف أو الكراهية، من خلال المناشير والتعليقات الجارحة المتطرفة التي تقصي الرأي الآخر، وتستغل تكنولوجيات الاتصال البصري "برمجيات التركيب والتعديل Désigne et Infographie" لتشويه صورة الآخر والتخويف منه.

فخطاب الكراهية يوجد مناخاً من الأحكام المسبقة التي تشجع على ارتكاب جرائم العنف، والتميز على أساس التنوع والاختلاف، وأن لغة خطاب الكراهية غالباً ما تعتمد على التشويه والتعابير غير اللائقة، وهي لغة عاطفية لا تعتمد على العقل، فكثير من الأفراد - خاصة الشباب - لا يميزون بين خطاب الكراهية وحرية التعبير، ويعتقدون أن مواجهة خطاب هو ضعف واستكانة.

إلا أن من الضروري حالياً تغيير آليات التعامل من شبكات الإعلام الاجتماعي لتحويلها من أدوات لترسيخ ونشر ثقافة الكراهية لأدوات لتوليد ثقافة التواصل والحوار وترويجها على مستوى كل الشرائح الاجتماعية، ويمكن أن تساهم المجموعات الاجتماعية التي تنشأ لهذا الغرض على توعية مستخدمي الإعلام الاجتماعية وحثهم لتغيير منطق تعاملهم مع ما يتداولونه في هذه الشبكات أو ما يتلقونه، أو ما ينشرونه من مضامين قد تروج للعنف والكراهية أو تسهم في تأجيج خطابات الكراهية سواء كان ذلك عن قصد أو غير قصد، فتوعيتهم وترشيدهم لتغيير آليات تعاملهم مع هذه الشبكات من خلال تهيئتهم نفسياً واجتماعياً وتربوياً سيساهم في الحد من سطوة خطابات الكراهية في المجتمع، لذا من الضروري الآن تشجيع وتحفيز كل المبادرات الشبابية التي تروج للحوار والتنوع وقبول الآخر، ويجب أن توفر المؤسسات العمومية ومنظمات المجتمع المدني هذا الدعم، من خلال خلق مبادرات جمعية وفردية وتخصيص كل الدعم المادي والمعنوي والمؤسسي لها، لتمكينها من تكوين الشباب ليكونوا ملمين معرفياً وعملياً بمهارات التواصل والحوار، وآليات مواجهة خطابات العنف والكراهية، وجعلهم قادرين على نقل معارفهم ومهاراتهم للشباب الآخرين في شبكات الإعلام الاجتماعي.

6. قائمة المراجع:

1. أبو الحسن. منال مُجَدِّد. (2004). "التربية الإعلامية للوالدين"، ندوة حول والدية راشدة من أجل مجتمع أُرشد، كلية التربية بسوهاج 31/30 مارس. الجزء 2.
2. إميل. أمين. (2017). الإغراق في جب الكراهية، لندن، الشرق الأوسط، 22 أغسطس. رقم العدد (14147).
3. البكر. فوزيه. (2015). التربية الإعلامية في القرن الواحد والعشرين، كلية التربية جامعة الملك سعود.
4. جاد أحمد. مُجَدِّد. (2008). الإعلام الفضائي وآثاره التربوية، (الإسكندرية، دار العلم للملايين، ط1.
5. جفال. سامية. (2010). التحديات "الإعلامية العربية في ظل العولمة الثقافية، مجلة كلية الآداب واللغات"، جامعة مُجَدِّد خيضر بسكرة، العدد 6.
6. حيزاوي. عبد الكريم. (2009). "التربية الإعلامية ورهان دعم المناعات" مجلة الإذاعات العربية، العدد 01.
7. الشميمري. فهد (2017). لماذا التربية الإعلامية ؟ بتاريخ: 2017/09/05، استرجعت من: http://www.saudimediaeducation.org/index.php?option=com_content&view=article&id=100&Itemid=74،
8. العقارية. فاطمة وآخرون. (2015). التصدي لخطاب الكراهية عبر الانترنت، عمان، مركز هي للسياسات العامة، 2015.
9. عبد الحميد. مُجَدِّد. (2012). التربية الإعلامية والوعي بالأداء الإعلامي، القاهرة: عالم الكتب، ط1.
10. عبد الخالق. عيسى. (2019). الاتصال الثقافي وحوار الحضارات في العصر العباسي، استرجعت من: www.najah.edu/conf_papers/57.pdf
11. عزي. عبد الرحمن. (2009). العالم وتفكك البنيات القيمية في المنطقة العربية: قراءة معرفية في الرواسب الثقافية، الدار المتوسطة للنشر، تونس.
12. العلام. عبد الرحيم. (2004). ندوة مجلة «العربي» السنوية: حوار المشاركة والمغاربة.. الوحدة في التنوع، جريدة الشرق الأوسط. العدد 9512.
13. القادري عيسى. نهاوند. (2007). قراءة في ثقافة الفضائيات العربية: الوقوف على تخوم التفكيك، بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1.

14. لصلح.عائشة (2016). العنف الرمزي عبر الشبكات الاجتماعية الافتراضية: قراءة في بعض صور العنف عبر الفيسبوك، المغرب، شبكة مومنون دون حدود، استرجعت من،
<http://www.mominoun.com/pdf1/2016-06/fttiradia.pdf>
15. معوش. سالم.(2007). العولمة والتربية وسباقات الاتصال والتشكل والتنمية، بيروت دار النهضة العربية، ط1.
16. هانس بيتر.مارتين. شومان هارولد.(1998). فتح العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية. ترجمة د. عدنان عباس علي، مراجعة وتقديم أ.د. رمزي زكي. سلسلة عالم المعرفة 238.
17. Letonturier.Éric (2005). Sociologie des réseaux sociaux et psychologie sociale: Tarde, Simmel et Elias, Paris ,La Revue Hermès, n° 41.
18. Loriane. Durand. (2017). La violence dans les services sociaux, Travail de Bachelor of Arts HES-SO en Travail Social , Paris ,Haute-École de Travail Social.
19. Schoefthaler.Traugott.(2006). Culture et communication Instruments fondamentaux pour le changement des mentalités et des sociétés , Conférence ministérielle Euro Méditerranéenne sur "l'égalité des chances" Etude réalisée par la Fondation Euro Méditerranéenne Anna Lindh pour le Dialogue entre les Cultures.
20. Vernhes.Clarisse.(2002). La violence à l'écran en accusation. [en ligne], http://www.rfi.fr/actufr/articles/030/article_16331.asp